المقالة العاشرة

"السلاح النووي الإسرائيلي واستراتيجية المواجهة العربية"

تحت هذا العنوان كتب المؤلف -رحمه الله- : « ليس هذا موضع تقديم نظرية متكاملة، لمبادئ التخطيط الاستراتيجي، أو قواعد التعامل في النظرية القتالية. تعرضنا لبعض النواحي حيث فرضت الضرورة ذلك . كذلك ونحن نطرح موضوع الاستراتيجية النووية الإسرائيلية، فإن بعض عناصر النظرية الاستراتيجية، يتعين علينا أن نتصدى لها بالتبسيط المطلق وفي حدود ما نعرض له من مشاكل . سبق أن رأينا أن استراتيجية القتال بالسلاح النووي تخضع لمبادئ مختلفة، تبعاً للطرف المتعامل، ولهدفه من استخدام السلاح النووي . فيما يتعلق بالطرف المتعامل، نستطيع أن نميز بين استراتيجيات ثلاث: القوتين الأعظم، الدول الكبرى، ثم الدول الصغيرة، في هذا الصدد يبرز بشكل واضح معنى تقسيم الدول إلى طبقات متميزة. فموسكو لا تخضع لنفس المبادئ الاستراتيجية التي تخضع لها دولة كفرنسا. كذلك فإن إسرائيل، أو دولة كمصر، تصير نموذجاً آخر، إسرائيل تلجأ إلى القنبلة النووية التكتيكية لإعادة تشكيل التوازن الإقليمي لصالحها . سوف نرى معنى ذلك فيما بعد بصورة أكثر تفصيلاً، ولكن المهم الذي يجب أن نتذكره، أنها تتعامل بهذا المعنى مع دول لا تملك السلاح الذري، ولا التوازن النووي مع إسرائيل، وسوف نطرح فيما بعد قناعتنا بأن العالم العربي مهما بذل من جهد، ووضع من ارادة، لن يستطيع أن يصل إلى التوازن النووي مع اسرائيل، ولو من بعيد. ومن ثم يجب أن ينازل إسرائيل بهذا الخصوص مستنداً إلى سلاح آخر، وهو ما سوف نحدده بوضوح في موضعه: أي السلاح الصاروخي. على أنه لذلك يجب وضع استراتيجية متميزة. ما هي تلك الاستراتيجية ؟ سؤال الإجابة عليه سابقة لاوانها. الذي يعنينا مؤقتاً تحليل الاستراتيجية القتالية الاسرائيلية، بصدد القنبلة النووية التكتيكية.

هناك قاعدتان يجب أن تكون كلاهما واضحة في الذهن:

(القاعدة الأولى) التناسق في مستويات التعامل الاستراتيجي.
(القاعدة الثانية) الاستخدام الأمثل للقدرات الذاتية.

هذه القواعد لا تنبع فقط من الاستراتيجية القتالية النووية، فهي خصائص عامة تشمل أي تعامل استراتيجي، ولكنها بصدد هذه القنبلة النووية التكتيكية ترتفع إلى القمة . وهنا نلحظ جانباً أن أحد مصادر قوة إسرائيل، لو قُورنت بخصومها، هي دقة التعامل الاستراتيجي . إسرائيل ما ملكت استراتيجية واضحة لم تتغير في عناصرها منذ وجودها حتى اليوم، في مواجهتها يوجد عالم عربي لا يملك القدرات الاستراتيجية بأي معنى من معانيه، من يتابع أولئك الذين كتبوا صفحات ومؤلفات عن حرب يونيه، ثم عن حرب أكتوبر، يلحظ مدى السذاجة التي تميزت بها القيادات المصرية . حتى العراق، عندما أُتيحت له فرصة النصر، لم يعرف كيف يستغل النصر، ليضع حداً لاحتمالات حرب أخرى قادمة لأنه لم يملك العقلية الاستراتيجية التي تعرف كيف التعامل مع الموقف.

فلنقتصر مؤقتاً على الاستراتيجية القتالية النووية الإسرائيلية.

التناسق في مستويات التعامل الاستراتيجي

قاعدة التناسق الاستراتيجي تنقلنا إلى صميم العمل العسكري. سبق أن تعرضنا لذلك بخصوص مراتب التحرك الاستراتيجي. لا نريد أن نعيد ما سبق أن ذكرناه، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا في أضيق نطاق وبصفة خاصة في علاقات الاستراتيجيات الثلاث المتتابعة، لابد من بعض الايضاح. أي استراتيجية تملك العديد من المستويات، ولكن أبرز تلك المستويات من حيث الترتيب التنـــازلي، من أعلـــى إلى أسفـــل، توجد ثلاث: **استراتيجية عليا** أو الاستراتيجية القومية، ثم تعقبها **الاستراتيجية العسكرية** وتتلوها مباشرة **الاستراتيجية القتالية**، الاستراتيجية العليا، حيث تتبلور أهداف السياسة القومية التي يجب أن تسيطر على توجه المجتمع في تعامله الداخلي والخارجي، ولو في فترة معينة، وحيث تتحدد تلك الأهداف بوضوح وترتيب تصاعدي دقيق. ثم تعقب هذه الاستراتيجية العليا تلك العسكرية، التي هي في جوهرها صياغة عسكرية للاستراتيجية العليا، أي هي بعبارة أخرى كيف تستطيع الأداة العسكرية أي أداة العنف المنظم أن تحقق تلك الأهداف من خلال القتال. سبق أن ذكرنا في موضع آخر أن الفكر العسكري الإسرائيلي المعاصر، يميز بصورة مطلقة بين سؤالين: متي يجب أن نقاتل ؟ ثم كيف يجب أن نقاتل ؟ السؤال الأول الإجابة عليه يتعاون فيه الفكر العسكري والفكر المدني . وهذا هو محور الاستراتيجية العسكرية. الاستراتيجية القتالية تأتي في مرتبة ثالثة لتجيب على

السؤال الآخر: كيف يجب أن نقاتل ؟ السلاح الأمثل، الموقع الأصلح، الأسلوب الأكثر فاعلية، بل ويدخل أيضا في هذا النطاق عملية اختيار القائد، الأكثر استعداداً للتعامل مع مجموعة هذه التساؤلات .. الاستراتيجية على هذا المستوى الثالث، لا يتدخل في صياغتها سوى صاحب المهنة العسكرية.

وهكذا نجد أنفسنا أمام ثلاث استراتيجيات متتالية: استراتيجية عليا، استراتيجية عسكرية، ثم استراتيجية قتالية، ما يجب أن نتذكره أن هذه الاستراتيجيات الثلاث يجب أن تملك تناسقاً كاملاً، وأن علاقة التناسق يجب أن تكون مطلقة لا تحتمل أي نوع من أنواع التناقض والتعارض، بحيث أن كل استراتيجية إنما تنشط في إطار ما حددته السابقة عليها من مبادئ، وقد طوعت تلك المبادئ لطبيعة المستوى اللاحق من مستويات التعامل الاستراتيجي. بطبيعة الحال هناك استراتيجيات أخرى لاحقة ولكن علينا أن نتوقف قليلا أمام هذه المستويات الثلاث، ونحن نحاول تحديد موقع القنبلة النووية التكتيكية من الصراع في منطقة الشرق الأوسط.

فلنحدد بوضوح عناصر الادراك القتالي الإسرائيلي:

(أولاً): السلاح الكيمائي أو الجرثومي هو رأس الحربة، أو المحور الأساسي في التعامل مع منطقة الشرق الأوسط.

(ثانياً): السلاح النووي هو أداة اسرائيل في عزل المنطقة. وكما سبق أن ذكرنا بإيجاز وهو ما سوف نعود إليه تفصيلا، فإن القنبلة النووية التكتيكية سوف تصير أداة إسرائيل في عزل المنطقة. سياسة إسرائيل الاقليمية تقوم على فكرة العزل، والتطويق، فكذلك سياستها العسكرية تنبع من نفس المبدأ وسوف تستخدم السلاح النووي أداتها في ذلك.

(ثالثاً): وهي لذلك لابد وأن تبطل مفعول السلاح الصاروخي، الذي يظل الأداة الحقيقية التي تخلق نوعا من الاختلال لصالح الدول العربية.

على أن تحليل هذه الناحية سابق لأوانه.

الاستخدام الأمثل للقدرات العسكرية الذاتية

الجوهر الحقيقي لأي تعامل استراتيجي ينطلق من مبدأ الاستغلال الأمثل للقدرات الذاتية. وهذا يعني أربعة عناصر للحركة كل منها يكمل الآخر:

(الأول): الاستناد في الحركة إلى أقصى عناصر القوة الذاتية، والتضخيم في ممارستها، العسكرية الإسرائيلية، تملك عنصرين هامين للقوة: الأول القنبلة النووية

التكتيكية التي تمكنها من التفوق الكامل على خصمها العربي، والتعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة التي تسمح لها بخط متأخر للدفاع موثوق من فاعليته سواء الاقليمية أو الدولية.

(الثاني): شَل عناصر الضعف الذاتية، أو القيام بعملية تمويه، بخصوصها إسرائيل ضعيفة استراتيجياً بل انها تملك من عناصر الضعف ما هو قاتل. أرض فلسطين التي تعيش عليها إسرائيل، لم تكن في أي مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً لقلاقل، انها مجرد معبر تجتازه الكلاب القادمة من الشرق، نحو أرض الحضارة في وادي النيل، أو يخترقه عمالقة الفراعنة وأحفادهم، وهم يتجهون إلى المشرق العربي، يبثون في ربوعه الحضارة والمدنية. وهي كذلك معزولة تحيط بها بحار المياه المتسعة من الغرب والجنوب، وبحار الرمال من الشرق. هذه البحار تجعلها مخنوقة، إلا في الشمال، حيث حائط العداوة يكمل هذا الحصار، استطاعت العسكرية الإسرائيلية أن تتخطى ذلك السور من جانب، بتحالفها مع الولايات المتحدة الذي جعل الأسطول السادس في طوع يدها، وبتعاونها مع حلف الأطلنطي، الذي جعل منها من حيث الواقع حليفاً لدول أوروبا الغربية. وأكملت ذلك بالتغلغل في الحبشة ؛ الذي جعل منها قوة مسيطرة على مدخل البحر الأحمر(1).

(ثالثاً): الشل لعناصر الضعف الذاتي، يكمله خلق عدم الفاعلية في قدرات الخصم، العالم العربي يملك عنصرين أساسيين يكونان قوة حقيقية في موقعه الاستراتيجي. اتساع رقعته من جانب والتضامن بين دول المنطقة، وبصفة خاصة المحيطة بإسرائيل، القادرة على أن تحصرها في أي قتال لتفرض عليها القتال على الأقل في ثلاث جبهات في وقت واحد.

رأينا في حرب 1967 كيف استطاعت إسرائيل أن تضرب ثلاثة جيوش من خلال استراتيجية أساسها منع الالتحام الحقيقي في الجبهات الثلاث في آن واحد. بدأت بضرب مصر، وعقب أن فرضت عليها الركوع اتجهت للأردن، ثم انتهت المعركة بسوريا. قوة الجانب العربي الحقيقية في هذه اللحظة هي السلاح الصاروخي. والجانب العربي قادر لو توافرت له القيادة الحقيقية، ذات القناعة القومية وارادة القتال بفضل السلاح الصاروخي، أن يجرد إسرائيل من قدراتها النووية. كيف ؟ وهل تقف إسرائيل صامدة إزاء ذلك الاحتمال ؟

---

(1) حاضر العالم الإسلامي أفريقيا – على أحمد لبن وآخرين – دار الوفاء .

(الرابع): وأخيراً استغلال عناصر الضعف في الخصم، بحيث تصير مقتلاً يقوده إلى الاستسلام والخنوع .. أحد عناصر الضعف في القدرة القتالية الإسرائيلية هو الاعتماد على الاحتياطي. فهل العسكرية العربية قادرة على أن تستغل ذلك ليصير منطلقاً لاختراق قاتل ؟

الذي يعنينا أن نذكره أنه في ظل الموقف الحالي، فإذا كانت إسرائيل تملك القنبلة الذرية التكتيكية، ولا يستطيع العالم العربي أن يجاري تل أبيب في مسابقة لامتلاك السلاح الذري، وهذا هو مصدر قوتها، فإن هذا العالم يمتلك السلاح الصاروخي، وهو قادر لو أحسن استخدامه أن يفرض على اسرائيل –على الأقل– العودة إلى حجمها الطبيعي: دولة صغيرة ودخيلة محدودة، من حيث المساحة ضعيفة، من حيث القدرة الديموجرافية فقيرة، من حيث الإمكانيات الاقتصادية.

كيف يمكن ذلك ؟

فلنبدأ بإسرائيل وسلاحها النووي المصدر الحقيقي لقوتها العسكرية.

الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة والسلاح النووي

نحدد أهداف السلاح النووي الإسرائيلي في ثلاثة:

(أولاً) إصابة المواقع الحساسة في الجسد العربي، والتي تسمح بعزل منطقة الشرق الأوسط عن محيطها الخارجي.

(ثانياً) وذلك بشرط ألا تتجه إلى المواقع التي يعني إسرائيل أن تمد إليها في القريب العاجل مخالبها لاستثمارها اقتصادياً لصالحها.

وبعبارة أخرى فإن السلاح النووي سوف يكون أداة لتحقيق حصار من جانب، ولخلق اضطراب وفوضى مخيفة من جانب آخر، دون أن يصل ذلك إلى حد نشر اشعاع ذري في مناطق يعني إسرائيل في الأمد القريب أن تتوغل فيها .. سوف نرى فيما بعد كيف أنها سوف تستخدم السلاح الكيمائي والجرثومي، في أغلب الدول المحيطة بها، ولكنها سوف تستخدم القنبلة النووية في المناطق غير المجاورة لها.

ولذلك فنحن نعتقد أن هناك أربعة مواقع معدة ؛ لأن تُضْرَب بالقنابل النووية التكتيكية:

أ) السد العالي في جنوب مصر.
ب) المنطقة الممتدة حول طرابلس في ليبيا.
ج) منطقة الموصل في شمال العراق.
د) مضيق هرمز حول سلطنة عمان لماذا ؟

ضرب السد العالي يعني تفجير الخزان. الأمر الذي يقود إلى اغراق مصر من أسوان حتى أسيوط خلال ست ساعات. هذه المنطقة تحيط بها مرتفعات من الشرق والغرب وكتلة المياه المتوافرة في بحيرة ناصر، والتي تمثل عدة ملايين من الأطنان، سوف تنطلق لتقضي على كل مظهر من مظاهر الحياة، حتى مديرية أسيوط .. يُقدر الخبراء أن ذلك لن يستغرق أكثر من عدة ساعات.

ضرب طرابلس في ليبيا يحقق أهدافاً عديدة، تشترك فيها تل أبيب مع واشنطن.

منطقة الموصل في شمال العراق، وهي المنطقة الصناعية الحقيقية في العراق تصير الهدف الثالث، وخصوصاً أن ذلك لو حدث في لحظة معينة فانه كفيل باغراق نفس بغداد ..

مضيق هرمز يصير الهدف الرابع، لأنه يسمح بخلق منطقة معينة للإشعاع تؤدي إلى عزل الخليج العربي عن العالم الخارجي من خلال الممرات البحرية، وهو ما يكمل أهداف اسرائيل.

الهدف الأساسي هو عزل منطقة الشرق الأوسط عن العالم الخارجي، وهكذا تستطيع إسرائيل أن تصول وتجول .. القنبلة النووية التكتيكية تحقق هذا الهدف. ترهب المنطقة وتقضي نهائياً على إرادتها، ثم تعزلها عن العالم الخارجي، بحيث تستطيع إرادة تل أبيب أن تصول وتجول علي الأقل قرابة قرن كامل قبل أن تزول نهائياً الآثار الإشعاعية في مواقع ضرب القنابل الذرية.

الصراع الفكري الإسرائيلي حول استخدام السلاح النووي

من الأمور التي لا يجوز أن نتركها تمر عابرة، بخصوص السلاح النووي، الصراع الفكري بين التوجهات العسكرية الإسرائيلية، والذي ظل سائداً حتى ضرب المفاعل النووي في بغداد .. فقد انقسم حتى ذلك التاريخ الفقه العسكري الإسرائيلي الى فريقين: الصقور من جانب، الحمائم من جانب آخر.

فريق الصقور كان يطالب بالتوسع في النشاط النووي واستخدام السلاح النووي، هذا الفريق الذي ساد في الأوساط الحاكمة عندما قرر مناحم بيجين ضرب المفاعل العراقي يستند إلى الحجج التالية:

(أولاً): لأن التطور النووي في الوقت الحاضر قد دخل في بعض الدول العربية، ولم تعد اسرائيل هي المتحكمة في انتشار واستخدام القنبلة الذرية في المنطقة.

(ثانياً): كذلك فإن أغلب القيادات المسئولة في العالم تعتقد عن قناعة أن إسرائيل تملك حالياً تلك القنبلة النووية، وهذه القناعة لم تعد في حاجة إلى أي حجة جديدة، لتؤكد احتمال صحة الافتراض.

(ثالثاً): كذلك فإن قدرة إسرائيل النووية سوف تقود إلى دبلوماسية أكثر توفيقية.

(رابعاً): أضف إلى ذلك، أن التهديد النووي سوف يخفف من عبء الانفاق العسكري بصدد الاحتفاظ بقدرة لمواجهة الجيوش العربية .. بل انه بمعنى معين سوف يقلل من التبعية العسكرية المطلقة لإسرائيل في مواجهة الولايات المتحدة.

هذه الحجج طرحها أطراف التشدد الذين ظلوا حتى عام 1975 يمثلون الفريق السائد في المؤسسة العسكرية .. ولكن في أعقاب اتفاقية فك الاشتباك الثاني، بدأت تظهر نغمة جديدة تمثل العكس لهذا التوجه، وفي حدود معينة انصار هذا التوجه الجديد والذين يوصفون بالحمائم النووية يناقشون حجج الفريق الآخر واحدة وراء الأخرى، ليصلوا إلى موقف يختلف عن موقف الصقور في عناصره الأساسية:

أ) فمهما كانت الحجج المتعلقة بانتشار السلاح النووي في المنطقة، فما دامت إسرائيل لم تستخدم هذا السلاح فهي تظل غير مسئولة عن التطور الذي لابد أن يقود إليه مثل هذا الواقع.

ب) كذلك فطالما أن هناك شكا حول قدرة إسرائيل النووية، فإن الضغط من الجانب العربي بهذا الخصوص يمكن مقاومته.

ج) أن الاستراتيجية النووية التي تعني في طبيعتها التدمير الشامل، ليس هو الإجابة المعقولة والمقبولة في الإطار الحالي للتعامل. ولنتصور على سبيل المثال، هجوم إرهابي علي احدي الكيبوتزات.

د) السلاح النووي يفترض تهديداً متجانساً، ومركزاً وهو أمر غير متوقع في منطقة الشرق الأوسط، العديد من الأطراف تهدد إسرائيل، لكن دون أن يرتبط ذلك التهديد بحساب محدد لأي تعبير عن العنف ونتائجه.

هـ) وأخيراً فإن الخيار النووي سوف يقلص من قدرة إسرائيل على الحركة، وبصفة خاصة أمام الولايات المتحدة، فإسرائيل وهي لا تملك القدرة النووية تستطيع أن تبرر أي حركة عسكرية اجهاضية ضد أي تجمع للعدو، وهي -أي إسرائيل- تضمن أيضا في تلك اللحظة استمرار المساندة بالسلاح التقليدي من جانب واشنطن.

الجانب العربي واستراتيجية المواجهة

قبل أن نترك جانباً السلاح النووي في الترسانة الإسرائيلية، ورغم أننا سوف نعود في موضع لاحق للتعامل مع مختلف الأسلحة الإسرائيلية في ديناميكية كاملة، فنود أن نلفت النظر إلى حقيقة سوف نطرح تفاصيلها فيما بعد .. المواجهة العربية ضرورية، وهي لا تفترض سوى إرادة واضحة صريحة، حيث يجب أن تكون مصر، رأس الحربة في تلك المواجهة .. وفي مواجهة السلاح الذري الإسرائيلي، ليس أمامنا سوى أمر واحد: هجوم عربي مباغت بالسلاح التقليدي يكون هدفه الأساسي تدمير السلاح النووي الإسرائيلي.

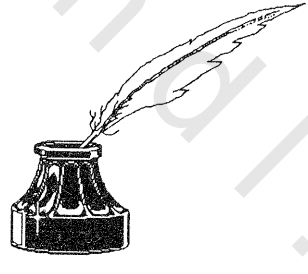

obeikandl.com